٢ – أن يتعاون كل صاحب رسالة مع من ينفعه في تحقيق أهدافه ، فتتضافر الجهود فتثمر أكثر .
٣ – أن تكون للدعوة قوة تحميها ، ومتابعين لها بجدية وحزم ، لكي يقضى على الشر ، ويسمح للخير أن ينتشر.

أهم المراجع والمصادر

القرآن الكريم

أبو بكر زكري ، الدعوة إلى الإسلام ، دار المعرفة ، القاهرة ، بدون تاريخ نشر .
أبو جعفر الطبري محمد بن جرير ، جامع البيان في تأويل القرآن ، تحقيق أحمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢٠٠٠م .
ابن تيمية أحمد بن عبد السلام ، مجموع الفتاوى الكبرى ، مطابع الرياض ، السعودية ، ١٣٨٢هـ .
أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، ١٣٩٠هـ .
البهي الخولي ، تذكرة الدعاة ، دار القلم ، بيروت ، ط١٣٥٧هـ .
توفيق الواعي ، النساء الداعيات ، وزارة الأوقاف الكويت ، ط١٩٨٩م .
رؤوف شلبي ، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي منهاجها – وغاياتها، مجمع البحوث الإسلامية ، بدون تاريخ نشر.
سيد قطب ، تفسير الظلال ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، ط١٩٨٢م .
الصواف محمد محمود ، من القرآن إلى القرآن الدعوة والدعاة ، بدون دار نشر ، بدون تاريخ نشر .
فتحي يكن ، الإسلام فكرة وحركة وانقلاب ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١٩٨٣م .
الفيروز أبادي مجد الدين بن يعقوب ، القاموس المحيط ، دار الجيل ، بيروت ، ط١٣٩٠هـ .
محمد أمين حسين ، خصائص الدعوة الإسلامية ، دار السلام للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط١٩٨٣م .
محمد السيد الوكيل ، أسس الدعوة وآداب الدعاة ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط١٩٨٦م .

٦ – الغيرة على حرمات الله تعالى والتحرك العملي لذلك .
٧ – القيام بواجب الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذاتيا .
٨ – الاستعانة بالغير على تغيير المنكر إذا لم يجد في نفسه القدرة على ذلك .
٩ – معرفة العدو الذي يصد عن سبيل الله ويزين للناس سوء أعمالهم .
١٠ – إجلال الله تعالى وتعظيمه وإسناد كل فضل ونعمة له سبحانه .
١١ – حسن عبادة الله والتوكل عليه ومراقبته في السر والعلن .

أردت بهذه القصة أن ينظر كل واحد منا إلى ذاته نظرة ناقد لما يتحرك به من علم وفهم ودعوة ، ويعقد موازنة بينه وبين من يؤثر فيهم من سائر بني جنسه ممن حوله ، ثم يسأل نفسه هذا السؤال : أين أنا من إيجابية التغيير في النفس وفي الآخرين ؟ ثم هل أعددت لهذا الأمر عدته ، وأخذت له أهبته ؟ فكيف يكون الجواب ؟ أرجو أن يكون قريبا ، وبما تبرأ به الذمة عند علام الغيوب ، وننتظر أيها المسلمون أن تتحرك الهمة فيكم وتثمر ولو في واحد ، تنقله من جهالة إلى هداية ، وتكون سببا في إنقاذ نفس من النار ، ففي الحديث : ((لئن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها)) أخرجه البخاري (فتح الباري) ٦ / ١١١ .

أهم النتائج والتوصيات

من سرد ما سبق واستعراضه نخرج بهذه النتائج :
١ – وجوب البلاغ عن الله تعالى .
٢ – الغيرة على حرمات الله إذا انتهكت من علامات صدق الإيمان .
٣ – انسجام الكون كله ومن فيه من مخلوقات مع الفطرة السليمة ، وأن هذه المخلوقات تعرف ربها الواحد وإن لم تكلف بذلك .
٤ – العمل الجماعي في كل شيء مثمر أكثر من العمل الفردي ، وإن كانت البداية من الفرد .
٥ – الإيجابية شيء عظيم يحبه الله ويشيد به ولو من غير مكلف بها .
٦ – وجوب شكر النعم ، وبالشكر تدوم النعم ، وبدوام النعم يعم النفع والخير على الأمم .

هذه بعض ما خرجنا به في هذه الورقة من نتائج ، ونوصي كل غيور على حرمات الله تعالى أن يفعل ما يلي :
١ – يفهم دينه فهما صحيحا ، ويؤمن به إيمانا عميقا ، ويدافع عنه دفاعا مستميتا .

الجندي المتأخر عن حضور الاجتماع السليماني من مكان على مسافة يقطعها المسافر الجاد بوسيلة السفر في زمانهم في شهر ، وجاء بخبر عظيم الشأن وهو : أنه وجد قوما أنعم الله عليهم بنعم كثيرة من زروع وثمار وجنان وأنهار وصناعة وتقدم عمراني وثروات هائلة ، وبدل أن يتعرفوا على المنعم الحقيقي والخالق لهم ولهذه النعم ويتوجهوا له بالشكر ، توجهوا بالعبادة والشكر لمخلوق من مخلوقات الله ، سخره الله لهم ولغيرهم كنعمة من نعمه تعالى وهي : (الشمس) .

وعرف الهدهد هذا الجرم ، وتحرّكت في قلبه الغيرة على حرمات الله ، وما آل إليه أمر بني آدم من انحراف عن الحق الذي كلفوا به ، فثارت فيه الغيرة وتحرّكت فيه الحمية وفكّر كيف يوصّل إلى هؤلاء المنحرفين البلاغ والرسالة التي تُرشدهم إلى الحق وتقيمهم عليه ، فهداه ربه تعالى الذي يهدي عباده الصالحين ودعاته المخلصين إلى أن يُبلغ هذا الخبر واحدا من جنس هؤلاء القوم ليكون أقدر على دعوتهم وإرشادهم للحق فكان ما أراد ، وقام بمهمة نقل الخبر وتوجيهه لقائده فبارك الله الجهد وإن كان بالدلالة فقط ، فـ : (الدال على الخير كفاعله) وأثمر هداية أمة بلغ بها الانحراف مبلغا عظيما .

فهل عرف كل واحد منا دوره في إرشاد كثير ممن حوله من الأمم الضالة التي تشرك بالله تعالى ، في طاعته وعبادته وأمره ونهيه بعض مخلوقاته ، والصورة التي رآها الهدهد في سبأ منذ آلاف السنين صورة نراها كل يوم في هذا الزمان ، لا تختلف عنها في صغير ولا كبير ، مع أن الهدهد من جنس الطير لم يكلف بدعوة غيره ولكن استشعر بفطرته الحق فدل عليه والباطل فحذر منه ، فكيف بنا ونحن قد كُلّفنا أمر دعوة بني جنسنا ؟ ألا تتحرك فينا غيرة على محارم الله تعالى ، تغير ما بأنفسنا من مخالفة لشريعة الله ، وتغير ما بقومنا – وكل الناس قومنا – هل من غيرة هدهدية ؟ هل من إيجابية لا سلبية ؟ هل من حمية لا تبلدية ؟ هل من نظام لا عشوائية ؟ إن هذا الدرس فيه من العبر الكثير والكثير نلقي الضوء في نقاط على بعضها :

١ – قرب القائد من جنده وحسن الصلة بينهما .
٢ – الجرأة في الحق وعدم مهابة أحد ولو كان القائد .
٣ – حسن الاستماع من القائد إلى جنوده ، والتحقيق فيما يقولون .
٤ – الشعور بالمسئولية من الجنود ومشاركة القيادة في الهموم العامة والخاصة .
٥ – الجدية في الوقوف على الحقيقة والإحاطة بها تامة .

وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وإن اختلفت عبارتهم عنه.تفسير الطبري – (١٩ / ٤٤٩)

أقول : وعلى هذه المعاني نسير في فهمنا لهذا الحدث الدعوي الهام ، ومنه نخرج هذه العبر والعظات في إيجابية الجند

فلكل صاحب قضية هدف ، وله وسيلة وحيلة يصل بهما إلى تحقيق هدفه كي يحقق قضيته ، وهذه من بدهيات الأمور في حياة كل واحد يريد أن يكون له أثر صالح ، ولو طبقنا هذا المفهوم على كل صاحب رسالة لوجدنا أنه فريضة ، فالمسلم صاحب رسالة يؤمن بها ، ويقيمها في حياته ، ويدعو الناس إليها ، وهي مجموع ما كلفه الله به من تشريعات ، فرسالة الإسلام ، وحقيقة العبودية لله تعالى، وعمارة الأرض ، وإقامة الحق والعدل ، ونشر الهدى والنور ، وتحقيق الأخلاق الفاضلة ، كل ذلك رسالة كل مسلم ومسلمة ، وهي أمور واجبة التحقيق بانفراد ومن خلال جماعة ، فإذا فهم كل واحد منا هذه الرسالة ، سعى في تحقيقها بشتى الطرق والوسائل المتاحة ، وبذل أقصى جهده في ذلك، وهذا ما تشير إليه الآيات التي ذكرنا تفسيرها أعلاه وفيها الإشارة إلى أن جميع المخلوقات تؤمن بالله وتعبده وتسبحه وتدعوه وترجوه وتغار على حرماته أن تنتهك أو أن يشرك به شيئا ، إلا ما كان من الجن والأنس فقليل منهم من يؤمن بالله ويعمل بما آمن به ويدعو إليه ويغار على حرمات الله ، وهذه القصة من سورة النمل توضح لنا هذا المعنى ، فأين أنا من هذه الغيرة على حرمات الله ؟ وأين أنا من مفهوم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ وأين أنا من فهم أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ وأين أنا من مفهوم وجوب البلاغ ووجوب الدعوة إلى الله ؟ أسئلة كثيرة تطرح نفسها على كل مسلم ومسلمة عندما يقرأ هذه السورة .

إن الهدهد الطائر الصغير كان جنديا من جنود سيدنا سليمان عليه السلام ضمن آلاف الجنود الذين سخرهم الله له ، ومع هذا فقد تفقده القائد الحريص على جنده الحازم في مهمته فوجده متخلفا عن الحضور ، فتوعده بعقوبة تصل إلى القتل إن لم يأت ببينة يفيد بها سبب عدم حضوره اجتماعا من الاجتماعات العامة كما أشرنا إلى ذلك من قبل .

فكيف بمن يتغيب عن لقاءات هو مكلف بها ، وينبني عليها وعلى حضوره فيها مهمة بناء نفسه وبناء غيره من بني جنسه ، بناء إيمانيا وأخلاقيا ؟ لقد جاء

قوله تعالى : ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ (٢٤) ﴾ يقول تعالى مخبرا عن قول الهدهد لسليمان مخبرا بعذره في مغيبه عنه :﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ﴾ يعني تملك سبأ، وإنما صار هذا الخبر للهدهد عذرا وحجة عند سليمان، درأ به عنه ما كان أُوعد به؛ لأن سليمان كان لا يرى أن في الأرض أحدا له مملكة معه، وكان مع ذلك – عليه السلام – رجلا حبِّب إليه الجهاد والغزو، فلما دله الهدهد على ملك بموضع من الأرض هو لغيره، وقوم كفرة يعبدون غير الله، له في جهادهم وغزوهم الأجر الجزيل، والثواب العظيم في الآجل، وضمّ مملكة لغيره إلى ملكه، حقَّت للهدهد المعذرة، وصحّت له الحجة في مغيبه عن سليمان .

وقوله :﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ يقول : وأوتيت من كلّ شيء يؤتاه الملك في عاجل الدنيا مما يكون عندهم من العتاد والآلة .

وقوله(وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) يقول : ولها كرسي عظيم . وعني بالعظيم في هذا الموضع : العظيم في قدره، وعظم خطره، لا عظمه في الكبر والسعة . تفسير الطبري – (١٩ / ٤٤٧)

وقوله :﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ يقول : وجدت هذه المرأة ملكة سبأ، وقومها من سبأ، يسجدون للشمس فيعبدونها من دون الله . وقوله :﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ يقول : وحسَّن لهم إبليس عبادتهم الشمس، وسجودهم لها من دون الله، وحبَّب ذلك إليهم ﴿ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ يقول : فمنعهم بتزيينه ذلك لهم أن يتبعوا الطريق المستقيم، وهو دين الله الذي بعث به أنبياءه، ومعناه : فصدّهم عن سبيل الحقّ ﴿ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ ﴾

قال تعالى : ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) ﴾

ويعني بقوله :﴿ يُخْرِجُ الْخَبْءَ ﴾ يخرج المخبوء في السموات والأرض من غيث في السماء، ونبات في الأرض ونحو ذلك .

في القيادة والقوة في الحكم ، فلا تقوم الأمم على التسيب ولا تجابه الفتن والفواحش والمنكرات بالضعف واللين الذي لا يزيد السوء إلا سوءا .

قوله تعالى : [﴿ لأعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ يقول: فلما أخبر سليمان عن الهدهد أنه لم يحضر، وأنه غائب غير شاهد، أقسم ﴿ لأعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ وكان تعذيبه الطير فيما ذُكر عنه إذا عذبها أن ينتف ريشها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

وقوله:﴿ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ يقول: أو ليأتيني بحجة تبين لسامعها صحتها وحقيقتها.

عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس قال: كل سلطان في القرآن فهو حجة. الطبري – (١٩ / ٤٤٣)

قوله تعالى : ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) ﴾

يعني تعالى ذكره بقوله:﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ فمكث سليمان غير طويل من حين سأل عن الهدهد، حتى جاء الهدهد. واختلف القرّاء في قراءة قوله: ﴿ فَمَكَثَ ﴾ فقرأت ذلك عامة قرّاء الأمصار سوى عاصم: "فَمَكُثَ" بضمّ الكاف، وقرأه عاصم بفتحها، وكلتا القراءتين عندنا صواب؛ لأنهما لغتان مشهورتان، وإن كان الضمّ فيها أعجب إليّ، لأنها أشهر اللغتين وأفصحهما.

وقوله:﴿ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ﴾ يقول: فقال الهدهد حين سأله سليمان عن تخلفه وغيبته: أحطت بعلم ما لم تحط به أنت يا سليمان.

وقوله:﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ يقول: وجئتك من سبإ بخبر يقين.
وهو ما حدثنا ابن حميد، قالَ: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه:﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ أي أدركت ملكا لم يبلغه ملكك. تفسير الطبري – (١٩ / ٤٤٦)

وهذا التفقد شمل الحضور والغياب ، الحضور الجسدي والعملي حضور دوره وعمله في مكانه الذي وضع فيه ، فلكل عنصر من جسد هذه الأمة حضور ودور يؤدى بشكل معين ، وليس هناك من هو همل لا دور له فلكل تجمع هدف وعمل ورسالة يقوم أمر الإصلاح عليه .

فالتعارف والتآلف والتفاهم والتكامل والتعاطف لا يحدث في كيان به خلل في استمرارية الحضور الجسدي والقلبي والعلمي والعملي .

فأي خلل في عملية الحضور يترك ثغرة تشوه منظر الصف كله بل المجموعة كلها ويحدث في الكيان كله خللا لا يسده إلا حضور صاحب الثغرة ، ومن أي ثغرة ينفذ الشيطان فيفرق الجمع كله ويقضي على القوة أيا كانت دعوية أو علمية أو اجتماعية أو أخلاقية ، فيحقق هدفه ، ويعيق تمكن الحق وأهله حتى يفطن الناس إلى موضع الخلل فيسدوه .

إن القائد يعمل بمبدأ الثواب والعقاب والمحاسبة والمؤاخذة والمتابعة والتقويم المستمر لأي عمل .

فالقائد لأنه قام بواجبه في الرعاية والسهر على راحة جنده ، له على الجند أن يقوموا بواجبهم والسمع والطاعة وعدم الإهمال والتخلف .

والقائد العادل لا يفرط في أمر الجماعة التي ولي أمرها بالتهاون مع شخص ما ولو كان صغيرا مادام مكلفا بعمل ما ، فلو تهاون في هذا ينفرط العقد وتضيع الحقوق ويفشل أمر الجمع كله ، فالتفريط في العمل المناط بصاحبه لا يثمر إلا التأخر للحق وأهله ومن ثمّ تقدم الباطل وأهله ، لذا لابد من العقاب لسلامة العمل ، وليس العقاب هدف لذاته ، ولكنه علاج لما ليس له عذر يبرره ، ويكون هذا العذر واضح لا لبس فيه ولا اختلاط .

وهذا هو الواضح من تهديد نبي الله سليمان الحاكم العادل لهذا الهدهد الجندي الذي سخر لسليمان عليه السلام ، ففي التوعد بالعذاب الشديد أو الذبح إذا لم يأت الغائب بعذر يبرر به غيابه حكم بالغة يترتب عليها حماية الصف والجماعة والأمة من الانهيار ، وتظهر فيه أيضا رحمة القائد لأنه تدرج في العقاب من التعذيب الشديد إلى الموت بالذبح ، وهذه واضحة الدلالة على العدالة والجدية

قوله تعالى : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لأعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢١) ﴾
يقول تعالى ذكره:(وَتَفَقَّدَ) سليمان(الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ). وكان سبب تفقده الطير وسؤاله عن الهدهد خاصة من بين الطير، ما حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت عمران عن أبي مجلز، قال: جلس ابن عباس إلى عبد الله بن سلام، فسأله عن الهدهد: لم تفقَّده سليمان من بين الطير ؟ فقال عبد الله بن سلام: إن سليمان نزل منزلة في مسير له، فلم يدر ما بُعْد الماء، فقال: من يعلم بُعْد الماء؟ قالوا: الهدهد، فذاك حين تفقده.تفسير الطبري – (١٩ / ٤٤٢)

أقول : وفي تفقد الجند من القائد إشارة على حسن المتابعة والتعاهد والحرص والحماية والمعرفة بكل فرد من أفراد الرعية الذين ولي أمرهم ونحب أن نلخص هذا في نقاط تحمل لنا عدة معان تربوية في طريق الدعوة والقيادة والجندية فمنها ما يأتي : إن القيادة ترعى أفرادها رعاية دقيقة لدرجة أنها تتفقدهم صغيرهم وكبيرهم عظيمهم وحقيرهم قويهم وضعيفهم قريبهم وبعيدهم .

وانظر إلى أمر التفقد ، فكلمة التفقد تعني تتبع أحوالهم والاستمرارية في ذلك للوقوف على ما يهمهم ويهم شئونهم والوقوف عليه ، ليس عن طريق العيون والمراسيل والمبعوثين ولكن بالنفس والذات ، فالقائد يقوم بالتعرف بنفسه على أحوال جنده ورعيته وأتباعه وهذا ما يفهم من قوله تعالى : ((وتفقد الطير)) ومن الواضح أن الجند منظمون في هيئة صفوف حتى يتمكن القائد من تفقدهم على كثرتهم وتزاحمهم لأن الآيات قبلها تشير إلى أن سليمان عليه السلام حشر له جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون أي يتزاحمون ويتدافعون من كثرتهم ، فهل هذه الكثرة المتزاحمة المتدافعة يتفقدها القائد وهي هكذا دون أن تكون مصفوفة صفوفا وموزعة جماعات ومجموعات متناسقة متآلفة حتى لا يخفى على القائد من أمرها شيء عند متابعتها وتفقدها ؟ فهل قياداتنا الذين ولوا أمورنا في أي عمل من الأعمال يقومون بهذا التفقد المنظم المنضبط الذي يشير إلي عظيم فهم المسئول لمسئوليته ومهامه ودوره ؟ وهذا ليس خاصا بالقادة الذين ولاهم الله أمر أفراد أو أمم فحسب ، بل هو لكل من ولاه الله حتى على أهل بيت أو وظيفة ما وعمل ما ، بل مخاطب به كل عاقل أن يتفقد نفسه التي بين جنبيه وفكره وقلبه وما أعظم مهمة التفقد لهؤلاء .

وهذه النعمة التي ورثها سليمان عن أبيه داوود كما تقدم تفسيرها نعمة ورحمة من الله تعالى لم تعط لأحد من أهل زمانه ، ولم تعط لأحد بعده ، فهي من أعاجيب ما أعطى الله تعالى خلقه من نعم ، وما بعدها من ذكر آية مروره على واد النمل يثبت نتيجة هذه النعمة وقيمتها في تسخيرها في مرضات الله ورحمة بعباده وبسائر خلقه .

قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٨) ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله:﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ ﴾ حتى إذا أتى سليمان وجنوده على وادي النمل ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ ﴾ يقول: لا يكسرنكم ويقتلنكم سليمان وجنوده ﴿ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ يقول: وهم لا يعلمون أنهم يحطمونكم.

قوله تعالى : ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩) وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢١) ﴾

يقول تعالى ذكره: فتبسم سليمان ضاحكا من قول النملة التي قالت ما قالت، وقال:﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ يعني بقوله ﴿ أَوْزِعْنِي ﴾ ألهمني. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

في كلام العرب، تقول: أوزع فلان بفلان، يقول: حرض عليه. وقال ابن زيد :(أَوْزِعْنِي) ألهمني وحرّضني على أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ.

وقوله:﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ﴾ يقول: وأوزعني أن أعمل بطاعتك وما ترضاه ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ يقول: وأدخلني برحمتك مع عبادك الصالحين، الذين اخترتهم لرسالتك وانتخبتهم لوحيك، يقول: أدخلني من الجنة مداخلهم]. تفسير الطبري – (١٩ / ٤٤١)

يقول تعالى ذكره:(وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ) أباه(دَاوُدَ) العلم الذي كان آتاه الله في حياته، والمُلك الذي كان خصه به على سائر قومه، فجعله له بعد أبيه داود دون سائر ولد أبيه ﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ يقول: وقال سليمان لقومه: يا أيها الناس علمنا منطق الطير، يعني فهمنا كلامها؛ وجعل ذلك من الطير كمنطق الرجل من بني آدم إذ فهمه عنها.

وقد حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي معشر، عن محمد بن كعب:﴿ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ قال: بلغنا أن سليمان كان عسكره مائة فرسخ: خمسة وعشرون منها للإنس، وخمسة وعشرون للجنّ، وخمسة وعشرون للوحش، وخمسة وعشرون للطير، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب؛ فيها ثلاث مائة صريحة، وسبع مائة سرية، فأمر الريح العاصف فرفعته، وأمر الرخاء فسيرته، فأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض: إني قد أردت أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت الريح فأخبرته.

وقوله:﴿ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يقول: وأعطينا ووهب لنا من كلّ شيء من الخيرات ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ يقول: إن هذا الذي أوتينا من الخيرات لهو الفضل على جميع أهل دهرنا المبين، يقول: الذي يبين لمن تأمَّله وتدبره أنه فضل أعطيناه على من سوانا من الناس.

قوله تعالى :﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧)﴾
يقول تعالى ذكره: وجمع لسليمان جنوده من الجنّ والإنس والطير في مسير لهم، فهم يوزعون.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله (فَهُمْ يُوزَعُونَ) فقال بعضهم: معنى ذلك: فهم يحبس أوّلهم على آخرهم حتى يجتمعوا.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معناه: يردّ أوّلهم على آخرهم؛ وذلك أن الوازع في كلام العرب هو الكافّ، يقال منه: وزع فلان فلانا عن الظلم: إذا كفَّه عنه، كما قال الشاعر: أَلَمْ يَزَعِ الهَوَى إِذْ لَمْ يُؤَاتِ... بَلى وَسَلَوْت عَنْ طَلَب الفَتاة (١)
وإنما قيل للذين يدفعون الناس عن الولاة والأمراء: وزعة: لكفهم إياهم عنه.

فصيلة الهدهد

ليس هناك اتفاق بين العلماء بعدد أنواع فصائل هذا الطائر، لكن عموماً هناك جنس واحد منه وخمس فصائل ثانوية (one genus (Upupa) and five subspecies)،، لكن كل من العلماء كليمنتس (Climents) وسيبلي (Sibley) ومونروي (Monroe) قسموا هذا الطائر عام ١٩٩١ إلى صنفين رئيسين هما الصنف الأوراسي (Eurasian) وهو ما يطلق عليه علمياً باليو –إي بوب الذي ينتقل بين آسيا وأوروبا وشمال أفريقيا (U. epops; ranging across Eurasia and in northwest Africa)،، وكذلك الصنف الأفريقي المتوفر في الصحراء الأفريقية ومدغشقر (U. africana; ranges through much of sub-Saharan Africa and Madagascar) كما مبين في الشكل (٣– ب) . بينما اعتبر العلماء فراي، كيث، واوربان (Fry، Keith& Urban) عام ١٩٨٨م بأنهما صنف واحد باعتبار تقارب الصفات والسلوك وفروق الريش ليست كبيرة بينهما رغم اختلاف أصواتهما بشكل واضح.

بعض ما ذكره المفسرون في هذه الآيات :

يقول الإمام الطبري : [القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥) ﴾
يقول تعالى ذكره:﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ﴾ وذلك علم كلام الطير والدواب، وغير ذلك مما خصهم الله بعلمه.﴿ وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وقال داود وسليمان: الحمد لله الذي فضلنا بما خصنا به من العلم الذي آتاناه ، دون سائر خلقه من بني آدم في زماننا هذا على كثير من عباده المؤمنين به في دهرنا هذا] .

وهذه بداية القصة إذ لا يمكن فهم حوار سليمان عليه السلام مع الهدهد إن لم يكن يعلم سليمان لغة الطير ، وكيف أن الطير علم أيضا أن سليمان عليه السلام يعلم لغته ، لذلك جاء الهدهد إلى سليمان عليه السلام دون غيره من سائر الناس ، وهذه إشارة بأن هذا نعمة من الله تستوجب الشكر للمنعم .

قوله تعالى : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) ﴾

ومشاهدته علامة على نقاء البيئة من المبيدات الحشرية، وممنوع صيده (كما هو الحال بالنسبة لأبو قردان وأبو فصادة، حيث أنه لايؤكل ، وهو يعيش فى المناطق الجنوبية والوسطى من آسيا وأوروبا ويتواجد فى إفريقيا بشكل كبير ، ويعيش فى التضاريس وكروم العنب والمروج وبالذات مروج السافانا وفى الأشجار المتفرقة وهو غير مستقر فى مكان واحد ، بل هو دائم التنقل والترحال من مكان لآخر بحثا عن الغذاء .

الوصف: يسكن هذا الطائر في جحور الأشجار أو الجحور الصخرية الضيقة وحتى في المباني القديمة أو بعض الشقق الفندقية الفاخرة. وتجلس الأنثى ١٢–١٥ يوماً على بيضها كفترة حضانة حتى تفقس. الذكر يطعم الأنثى أثناء فترة الحضانة ويطعم الصغار بعد الفقس. وعادة ما يحتضن صغيرين كل عام بحيث يغادرون العش بعد ٢٦–٣٢ يوماً من التفقيس، وله قابلية عجيبة في طلب الماء والكشف عن تواجده تحت الأرض. يتميز بسرعته الفائقة في الطيران والعدو، ومن صفاته المميزة أيضاً أنه يتمكن أن يبعد أي حيوان ضار أو مفترس عن عشه وصغاره عن طريق رش رذاذ أسود زيتي برائحة كريهة من غدة بقاعدة الذيل تبعد أي متطفل، بل وحتى الصغار يستطيعون ذلك إن أحسوا بالخطر(٣). يتميز هذا الطائر برشاقته وحسن مظهره وخصوصاً مع تلك النتوءات الريشية أو القزعة الموجودة في مؤخرة رأسه. طوله حوالي ٣١ سم وألوانه تختلف حسب المناطق، فمنها الدارسينية –نسبة للقرفة أو الدارسين وهو نوع من البهارات البنية الداكنة– ومنها الكستنائي مع أجنحة مخططة أو ملونة بالأبيض والأسود. منقاره معقوف طويل وقوي وأجنحته دائرية تقريباً، أرجله قصيرة وذيله مربع، والريش الجميلة في مؤخرة رأسه قد تتحول لشكل مروحي عندما يستثار، ويعمل على نفخ ريش رقبته عند المناداة. وعند الخطر يومض برأسه. يتناول الأعشاب من البراري المفتوحة ويفضل الحشرات كالديدان ويرقاتها اللينة التي يلتقطها من الترب وفتحات الصخور الضيقة باستخدام منقاره الطويل، كما يأكل الحيوانات الصغيرة كالسحالي والعضايا. وقد يأكل بمفرده أو مع زوجه خلال فترة تربية الصغار خصوصاً في فترات الربيع والصيف، وبقية الأوقات قد يتغذى بشكل جماعي(٤). وفوق رأسه قزعة سوداء، وهو أسود البراثن، أصفر الأجفان، يقتات الحبوب والدود، ويرى الماء من بعد ويحس به في باطن الأرض فإذا رفرف على موضع علم أن فيه ماء.

القرآن عنه ، فتكتمل لدينا المعلومة شرعية وعلمية ونورد ما جاء في القصة من الآيات وأقوال بعض المفسرين فيها ، وسوف نستعرض القصة من بدايتها ، حتى نغطي الحدث كاملا ، فالقرآن لا يجتزء بل لابد من السباق واللحاق .

الهدهد في القرآن الكريم

ذكر الهدهد في القرآن في قوله تعالى :﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) (النمل) .

(من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة ، على الشبكة العنكبوتية [الإنترنيت])

خريطة تبين أماكن تواجد هذا الطائر

Upupa epops

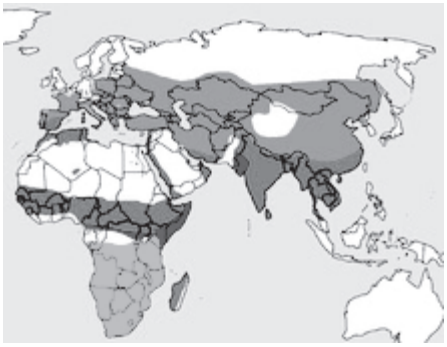

أماكن انتشار طائر الهدهد في العالم

الهُدْهُد (بالإنكليزية :Hoopoe) (باللاتينية :epops upupa) طيرله عرف مميز على رأسه، اللون بني فاتح وعرفه البني مرقط من أطرافه بالريش الأسود ونصفه الأسفل أسود مرقط بالريش الأبيض في نظم جميل ،له طريقة مميزة في الطيران، ويتغذى على الحشرات ويشاهد أفراداً في المناطق الزراعية، وهو من أصدقاء الفلاحين فهو ينظف الأرض من الديدان واليرقات والآفات . يعد وجوده .

ومن المخلوقات التي لم تكلف بشرع ولكنها عرفت ربها بالفطرة وعبدته وهي طائعة ، باقي الأمم الأخرى من طير وحيوان ونبات وجماد وسماء وأرض فكما قال الله تعالى : ((وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون)) الأنعام : ٣٨ .

فهذه الأمم أمثالنا في أنها مفطورة على التدين أي مولودة على معرفة الله والتوجه إليه بالدعاء والذكر والنداء والطاعة ، ولها عبادة خاصة بها كل منها يقدس ربه ويصلي إليه بطريقته ، ولهذا أشار الله تعالى في مواضع كثيرة إلى تلك العبادة وذلك التوجه فقال تعالى : ((ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون)) النور : ٤١ . ومن هذه المخلوقات جعل الله دعاة إليه ومعرّفين به ، لمن انحرف عن فطرته التي فطرهم الله عليها ، وهؤلاء الدعاة إليه لم يكونوا من الإنس والجن المكلفين فقط ، بل هو مخلوق غير مكلف ولكن قام بها فطرة ، وهذا هو شاهدنا على ما نقول ، داعية إلى الله خلّد الله ذكره في القرآن وسطر قدره ورفعه لأنه قام بواجب البلاغ والدلالة على الخير والنهي عن الشر ، وكان سببا في إنقاذ أمة كاملة من الخلود في النار ذلك لأنه حول مسار عبادتهم لغير الله إلى المسار الذي يوافق فطرتهم وما دعوا إليه من رسل الله ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، فإلى هذا الكائن الذي رفع الله ذكره وقدره ومقامه ، وجعله نموذجا لكل خير ، ودال على الخير ، علّه يكون إشارة لأهل الخير ولمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، ونأخذ من قصته دروسا تربوية في علم الدعوة وواجب الدعاة ، وستكون في ستة مقالات تربوية هادفة يتبين لنا من خلالها أركان الدعوة المتمثلة في : الداعية والمدعو والدعوة والدعاية والقوة التي تحمي الدعوة والداعية .

ومن قصة هدهد سيدنا سليمان عليه وعلى جميع الأنبياء الصلاة والسلام [الداعية الطيار] سوف نشير إلى دروس وعبر في إبداع القرآن الكريم في معالجة السلبية الدعوية ، ونزع المفهوم الخاطئ الذي أشرنا إليه من قبل عن أن الدعوة واجبة فقط على علماء الشريعة ، ونرتب على هذا الإبداع القرآن الذي خلد ذكر هذا الكائن الصغير الحجم الكبير الفعل والأثر ، ونبدأ بذكر نبذة تعريفية بهذا الطائر الذي أسميته الداعية الطيار ، ونستخدم وسائل العلم الحديثة [الإنترنيت] من موقع الموسوعة الحرة – ويكيبيديا – والتي ذكرت نوع هذا الطائر وأماكن انتشاره، وبعض المعلومات عنه ، وذلك لنربط العلم الحديث بالقرآن ونفسر بالصورة مع المعلومة والوظيفة ، ثم نربط المعلومات التي جائت عن هذا الطائر بما أشار إليه

عذاب الله وبطشه الذي لا يرد عن القوم الظالمين ، فبوجود العناصر الصالحة المصلحة تدفع النقم ، وتنزل الرحمات .

ومن خلال التعاريف نتبين أن هدف الدعوة هو الإصلاح والهداية إلى الرشد ، والرجوع بالخلق إلى الخالق وعبادته وحده لا شريك له ، وانسلاخ تام من كل مقومات غير مقومات منهج الله وسلطان الله ، إذا فالهدف من الدعوة هو تعبيد الخلق للخالق الذي خلق فسوى وقدر فهدى .

وأما وسائلها فهي محددة بالنصوص القرآنية في ثلاث :

١- الحكمة والبصيرة كما عبرت عنها آية سورة يوسف ، والنحل [١١] .
٢- الموعظة الحسنة كما عبرت عنها سورة النحل .
٣- الجدال بالتي هي أحسن ، والدفع بالتي هي أحسن كما عبرت عنهما سورة النحل وفصلت .

وليس مرادنا التفصيل في كل من الأهداف وشرحها والوسائل والإسهاب فيها ، لأن المقام لا يسمح بهذا التفصيل، فإلى نموذج الدعوة في المحور الثاني : [الداعية الطيار] هدهد سيدنا سليمان .

المحور الثاني

[الداعية الطيار] وفائدة الإشارة القرآنية إليه

تمهيد :

لقد خلق الله الخلق متدينين بفطرتهم ، ومتعرفين عليه بفطرتهم ، فمنهم من ظل على طاعته ومعرفته ولم يشأ الله له الانحراف مثل الملائكة ، فهم عباد مكرمون يعبدون الله دائما لا يفترون ، ولا يعصون ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، ومنهم من كلف بالعبادة لله وأعطي الاختيار على الاستجابة أو الرفض كالإنس والجن ، فمنهم من لم ينحرف عن هذا التدين ، ومنهم من استجاب لهوى نفسه ووسوسة الشيطان وشهوة جسده فانحرف عن طاعة ربه وأطاع واحدة من أدوات الانحراف سابقة الذكر .

[١١] أعني آية سورة يوسف رقم : ١٠٨ ، وآية سورة النحل رقم : ١٢٥ . وآية سورة فصلت رقم ٣٤

على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور)) [٩]

ونستطيع أن نلخص التعاريف الشرعية فيما يلي :

١- أنها الإيمان بكل ما جاءت به الرسل من عند الله والسير عليه .
٢- أنها عملية جمع الناس على الخير ، وحثهم عليه ونهيهم عن الشر ودفعهم عنه .
٣- أنها إحياء وتجديد لقواعد الإسلام ، وهدم لقواعد الجاهلية بكل صورها.
٤- أنها قيام علماء الشرع العارفين بتعليم الناس دين الله بقدر ما يستطيعون.
٥- أنها إنقاذ للبشرية من ربقة الشيطان وضلاله ، وردهم إلى الفطرة التي فطرهم الله تعالى عليها .

هذا وبالنظر إلى هذه التعاريف يتبين لنا أن الدعوة إلى الله هي حركة علمية دائمة في المجتمع ، وسيرة عملية دائبة بين الناس ، وهي إيجابية بنّاءة مثمرة كإيجابية هدهد سليمان ، وقصته في القرآن في سورة النمل من الآية ١٩ إلى الآية ٤٤ ، وهي همّ لازم ونشاط دائم لإخراج الناس كل الناس من ظلمات الجهل والضلال إلى نور العلم والرشاد، وهي اقتباس لشخصية الأنبياء عليهم السلام وأقوالهم وأعمالهم ، وهي حرقة في القلب على الأوضاع المنحرفة كلها لا تهدأ حتى ينتشر الحق والنور ، وهي معرفة بالواقع وكل ما يحيط بنا ، ووضعه في ميزان الحق ، وإخراجه بعد إعادة صياغته صالحا للعمل والتطبيق ، وهي بناء كل كائن حي موجود – بناء روحه وفكره وقلبه وعاداته وسلوكه وأخلاقه – وهي إعادة صياغة للعالم حتى يفيء إلى أمر الله ، وهي الرجوع بخلق الله إلى الفطرة التي فطرهم الله عليها يوم أن أخذ عليهم الميثاق في عالم الذر بقوله : ((وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين)) [١٠]،

وهي تكوين للعناصر المؤمنة الملتزمة المتمسكة بمنهج الله وشريعته التي شرعها لعباده ، لتكون نموذجا صالحا يقتدى به ، ويكون بمثابة صمام الأمان الذي يدفع

[٩] الدكتور / توفيق الواعي ، النساء الداعيات ، وزارة الأوقاف الكويت ، ط عام ١٩٨٩م ، ص ٨ ، والآية من سورة لقمان : ١٧ .

[١٠] القرآن ، ٧ ، الأعراف : ١٧٢ .

الإيمان به ، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به ، وطاعتهم فيما أمروا "[٥]

* وقد عرفها الدكتور السيد محمد الوكيل بقوله : " الدعوة إلى الله هي : جمع الناس على الخير ، ودلالتهم على الرشد بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر . قال تعالى : ((ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)) [٦]

* وقد عرفها الشيخ محمد الصواف بقوله : " الدعوة هي رسالة السماء إلى الأرض ، وهي هدية الخالق إلى المخلوق وهي دين الله القويم ، وطريقه المستقيم ، وقد اختارها الله وجعلها الطريق الموصل إليه سبحانه قال تعالى : ((إن الدين عند الله الإسلام)) [٧]. ثم اختارها لعباده ، وفرضها عليهم ، ولم يرض بغيرها بديلا عنها . قال تعالى : ((ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)) [٨]

* وقد عرفها الدكتور توفيق الواعي بقوله : " جمع الناس على الخير، ودلالتهم على الرشد بتنفيذ منهج الله في الأرض قولا وعملا ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، وإرشادهم إلى الطريق المستقيم والصبر والمصابرة على أعباء البلاغ ، مصداقا لقوله تعالى : ((يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر

[٥] ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم ، مجموع الفتاوى الكبرى ، مطابع الرياض ، بالمملكة العربية السعودية ، ط ١٣٨٢ه ، ج ١٥ ، ص ١٥٧ .

[٦] انظر : أسس الدعوة وآداب الدعاة ، ص ٩ ، والآية من سورة آل عمران ، رقم : ١٠٤ .

[٧] القرآن ، ٣ ، آل عمران : ١٩ .

[٨] الصواف محمد محمود ، من القرآن إلى القرآن (الدعوة والدعاة) ، بدون ناشر ، ب ت ، ص ٢٢ ، والآيتان من سورة آل عمران : ١٩ ، ٨٥ .

والدعوة إليه، وهذه هي الدعوة إجمالا بدءا وانتهاء وستظل هكذا ما بقي بشر على الأرض، فما هي الدعوة تفصيلا ؟ وما هدفها ؟ وما وسائلها ؟ هذا ما سوف نحاول الإجابة عليه في الصفحات القادمة مستلهمين الله الرشد والسداد .

تعريف الدعوة في اللغة .

الدعوة في اللغة لها عدة تعاريف نشير منها إلى ما يلي :-

* هي الصياح أو النداء والطلب ، تقول : دعوت فلانا أي صحت به واستدعيته، وقد تتعدى بحرف الجر [إلى] فيراد بها الحث على فعل الشيء تعني : حثه على قصده ، ودعاه إلى القتال ، ودعاه إلى الصلاة ، ودعاه إلى الدين وإلى المذهب : حثه على اعتقاده [٢] .

* الدعوة مأخوذة من الدعاء وهو النداء لجمع الناس على أمر ما ، وحثهم على العمل له ، قال تعالى : ((والله يدعو إلى دار السلام)) [٣] .

* الدعوة تطلق على أكثر من معنى : جاء في [معجم مقاييس اللغة] أن الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد. ومعناه (أن تميّل الشئ إليك بصوت وكلام يكون منك) تقول : دعوت أدعو دعاء ، والدعوة بفتح الدال مع تشديدها تطلق على الدعاء للطعام ، أما بالكسر مع التشديد فهي لادّعاء النسب. كما أن الدعوة تطلق في اللغة بمعنى : الرغبة إلى الله تعالى ، والفعل دعى والمصدر منه الدعاء والدعوى [٤].

تعريف الدعوة في الاصطلاح الشرعي .

الدعوة في الاصطلاح الشرعي لها عدة تعاريف منها ما يلي :-

* فقد عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : "الدعوة إلى الله هي : الدعوة إلى

---

[٢] الفيروز ابادي مجد الدين بن يعقوب ، القاموس المحيط ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ ، ط١٣٩٠ ه ، ج٤ ، ص ٣٢٩ .

[٣] الدكتور / محمد السيد الوكيل ، أسس الدعوة وآداب الدعاة ، دار الوفاء ، المنصورة ، مصر ، ط ١٩٨٦م ، ص ٩ ، والآية من سورة يونس ورقمها : ٢٥ .

[٤] أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر ، ط ١٣٩٠ه ، ج ٢ ، ص ٢٣٩ .

المحور الأول

تعريف عام بالدعوة ووسائلها وغاياتها

تمهيد :

إن الحديث عن الدعوة قديم قدم الإنسانية ، فإنه لما خلق الله آدم وأسكنه الجنة ، ثم حدث ما حدث مع إبليس وهبط إلى الأرض ، بدأ الصراع الحقيقي بين الخير والشر ، الخير متمثلا في آدم الذي تاب وأناب واستغفر ربه فغفر الله له ، والشر الذي يتمثل في إبليس عليه اللعنة عندما عصى وتمادى في عصيانه ولم يتب فلعنه الله وغضب عليه ، وبدأ أمر الدعوة من حين أن لجأ آدم إلى ربه فدعاه فسمع الله دعائه ، واستغفر فغفر الله له ، وظل آدم على حذر من إبليس الذي أغواه أول مرة حتى مرت سنون وسنون ، وإبليس اللعين يحوم حول آدم لينال منه بوسواس أو انحراف عن منهج الله الذي رسم له ، ولكن هيهات فقد أخذ آدم درسا من الوسوسة الأولى ، وأخذ يحذّر أبناءه كلما جاء له ولد علّمه كيف يعبد ربه ولا يسمع للشيطان ، فأخذت الدعوة إلى وصايا الإله تنفّذ من قبل آدم الداعية الأول وأبنائه وزوجته المدعوين الأول ، وحتى جاء الانحراف الأول على الأرض من ابن آدم الذي قتل أخاه فقد مارس آدم الدعوة مع أبنائه ، ومارس أبناء آدم الدعوة فقال أحدهما للآخر : ((لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين إني أريد أن تبوأ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ...)) [1] ، وظل الحال هكذا في الأبناء انحراف وشر ، ودعوة للخير وتعديل مسار ، ثم انحراف وشر ، ثم دعوة للخير وتعديل مسار ، وهكذا في كل جيل من أبناء آدم ، وكل البشر أبناء آدم، ولما بعدت السنون بالناس ، وكثر عدد بني آدم في الأرض ، وتفرقوا جماعات ، وعمل إبليس عمله فيهم ، كان من رحمة الله لبني آدم أن يرسل لهم رسلا منهم ، يذكرونهم ما كانوا عليه من عهد وعبادة وطاعة لله ، ويدعو المنحرفين منهم للرجوع إلى الهدى والاستقامة ، ويشارك الإنسان في الغيرة على هذا وإرادة نشر بين العالمين جميع المخلوقات ، فكل الخلائق تقوم بواجب البلاغ والذكر والدعاء والصلاة كما أشار القرآن الكريم في مواضع كثيرة منها قوله تعالى : ((ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون)) سورة النور – ٤١ . فتسبيح كل من في السماوات والأرض وصلاتهم دعوة من الله لنا أن نكون منسجمين مع من خلقهم الله تعالى في السماوات والأرض في التمسك بهذا الدين والذب عنه

[1] القرآن ، ٥ ، المائدة : ٢٨ ، ٢٩ .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :
فإن غياب المفاهيم الصحيحة في مواضيع الشريعة مما عمت به البلوى في هذا الزمان ، وإنه مما زاد من هذه الطامة، أن كثيرا من المسلمين لا يتدبرون القرآن وهم يقرؤونه ، فلا يقفون على إشارات القرآن والتي تدل بصراحة على تناسق وتناغم الكون كله ، وأنه يسير في وحدة واحدة في طاعة الله تعالى ، وأنه لا يحيد عن هذا التناغم والتناسق إلا الإنسان الذي لا يفطن لهذا ، فيشغله الشيطان وينسيه ذكر الله تعالى ، فيخسر دينه ودنياه .

ومن هذا المنطلق ، من منطلق الإشارة إلى تناغم الكون بمن فيه ، سواء في أرضه أو سمائه ، في الدعوة إلى هذا الدين ، والدعوة إلى إصلاح كل فساد ، والهداية إلى كل رشاد انطلاقا من قوله تعالى : ((قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى)) طه – ٥٠ . فكل المخلوقات في هذا الكون سمائه وأرضه قد هداها الله إليه بفطرتها كما هداها إلى ما ينفعها أو يضرها ، والنموذج الذي نقدمه في هذه الورقة [الداعية الطيار] هدهد سليمان هو خير مثال على ، وجوب القيام بالدعوة لدين الله والتوجيه إلى الصلاح والنفع ، والإرشاد إلى الخير ، وسوف نستعرض هذا النموذج من محورين :
الأول : نعرف بالدعوة عموما ووسائلها وأهدافها أو غاياتها .

الثاني : نسقط هذا التعريف على هذا النموذج من الدعاة [الداعية الطيار] ونبين فائدة الإشارة القرآنية إليه .

ثم نختم بحثنا بجملة من النتائج والتوصيات التي نرجو الله تعالى به النفع لكل من كان له قلب أو ألق السمع وهو شهيد ، فإن كان من توفيق فهو من الله تعالى ، وله الحمد في الأولى والآخرة ، وإن كان من نقص فهو مني ، والكمال لله تعالى وحده ، وأسأل الله تعالى أن يتمم تقصيرنا ويجبر نقصنا ، ويعفو عن خطئنا ، في سرنا وجهرنا إنه مجيب الدعاء ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

AL-'ABQARI JOURNAL VOL. 2 2012: 120-140
ISSN: 2232-0431 / eISSN: 2504-8422
UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
PENERBIT USIM / USIM PRESS

الإبداع القرآني في علاج السلبية الدعوية [قصة هدهد سليمان في سورة النمل نموذجا]

صلاح محمد زكي محمد إبراهيم القادري
USIM

ملخص البحث

يفهم كثير من المسلمين خطئا أن الدعوة إلى دين الله لإقراره والعمل به في الأرض مهمة العلماء في الشريعة فقط ، وأنه لا ينبغي لأحد أن ينازعهم هذه المهمة ، ولكن القرآن يفند هذا المفهوم ويبين عكسه تماما ، بل ويشير في مواضع كثيرة أن البلاغ والدعوة إلى الله تعالى ، وإلى كل فضيلة هو ضرورة كونية ينفذها كل مخلوق في هذا الكون في سمائه وأرضه بفطرته ، وقد يستغرب كثيرا من الناس هذا المفهوم لكن الذي يقرأ القرآن بتمعن يجد تأكيد ما أقول جليا واضحا ، وسوف أتناول في هذه الورقة بإذن الله وتوفيقه ، أنموذجا من القرآن يظهر أن الدعوة إلى دين الله وإصلاح ما أفسد الشيطان ، فريضة على كل الكائنات التي خلقها الله تعالى في هذا الكون الرحيب ، وهذا الأنموذج هو : [الداعية الطيار] وكيف أن هذا الداعية كان سببا في نجاة أمة من البشر لهم في الأرض شأن عظيم رغم أنه ليس من البشر ، بل هو من الطير (إنه هدهد سليمان) الذي سطر الله لنا قصته في قرآن يتلى إلى يوم القيامة ، وسوف نستهدف من ذكرنا لهذا النموذج ، أن نحيي جانب الإيجابية الدعوية ، والغيرة للدفاع عن حرمات الله ، وإثبات أن مفهوم الدعوة إلى الله قاصر على علماء الشريعة فقط هو مفهوم جانب الصواب ، ويجب تعديله وتصويبه ، وإنما قصدت الإشارة إلى هذا الموضوع في هذا الوقت بالذات لكي نحشد ونجند كل ذي همة عالية للدفاع عن دين الله ، ونشحذ همة ونصحح فهم من لا يستشعر بما يستشعر به سائر المخلوقات غيرة ، حرصا على الدين وإحياء لتوحيد الله وعبادته وحده في هذا الكون العظيم الذي يخضع ومن فيه طوعا أو كرها لله رب العالمين ، وما توفيقي إلا بالله ولا اعتمادي إلا على الله عليه توكلت وإليه أنيب ، والحمد لله رب العالمين .